Christians under the governors of Andalusia (95-138AH/ 714-756AD)

Dr. Ramia Habib Jame*

(Received 11 / 11 / 2024. Accepted 11 / 5 / 2025)

□ ABSTRACT □

The civilization of Andalusia was characterized by its multiplicity of social and cultural composition, as it included many diverse human elements, which differed greatly in their ethnic, human and cultural origins, including Arab Muslims (Mashreqs - Moroccans), Christians, Jews, mestizos, slaves and others. This diversity reflected the richness and strength of the civilization. Andalusianism, but at the same time it carried the seeds of weakness and the causes of deterioration and division.

Christians are a vital part of this civilization, as they played a positive and constructive role in promoting coexistence and understanding between multiple cultures and religions in that historical era, thanks to the kind treatment with which they were treated by the rulers of Andalusia, who applied Islamic teachings in dealing with all human elements present on the land. Andalusia, they did not differentiate in applying these teachings between a Muslim and others, and the Arab Muslim rulers gave them many religious, social, economic and cultural advantages, such that we did not hear during the period Al-Mudrousa (95-138 AH / 714-756 AD) means an attack by the Muslims of Andalusia on Christians, which encouraged Christians to engage and coexist with them in a positive way, and not to attack the Arab-Islamic state or harm its interests. Rather, Christians often appeared as defenders of it.

Keywords: Andalusia, Christians, Musa bin Nusayr, Abdul Aziz bin Musa, Al-Samh bin Malik Al-Khawlani.

Copyright **:**Latakia University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

*Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts, , University of Latakia, Latakia, Syria.

المسيحيون في ظل ولاة الأندلس
(95-138هـ/ 714-756م)

د. راميا حبيب جامع[1]

(تاريخ الإيداع 11 / 11 / 2024. قبل للنشر في 11 / 5 / 2024)

ملخّص

تميزت حضارة الأندلس بتعدد التركيبة الاجتماعية والثقافية، حيث ضمت العديد من العناصر البشرية المتعددة ، والمتباينة أشد التباين في أصولها العرقية والبشرية والثقافية، منهم المسلمين من العرب (المشارقة – المغاربة)، المسيحيين ، اليهود، المولدين، العبيد وغيرهم، عكس هذا التنوع ثراء وقوة الحضارة الأندلسية، لكنه كان يحمل في نفس الوقت بذور الضعف وأسباب التدهور والانقسام.

يعد المسيحيون جزءًا حيويًا من هذه الحضارة، حيث شغلوا دورًا إيجابيًا وبنّاءًا في تعزيز التعايش والتفاهم بين الثقافات والأديان المتعددة في تلك الحقبة التاريخية، بفضل المعاملة الطيبة التي عوملوا بها من قبل حكام الأندلس، الذين طبقوا التعاليم الإسلامية في التعامل مع كافة العناصر البشرية الموجودة على أرض الأندلس، فلم يفرقوا في تطبيق هذه التعاليم بين المسلم وغيره، كما أعطاهم حكام العرب المسلمين العديد من المزايا الدينية الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، بحيث لم نسمع ضمن الفترة المدروسة(95-138هـ/ 714-756م) أي اعتداء من قبل مسلمي الأندلس على المسيحيين، مما شجع المسيحيين على الانخراط والتعايش معهم بشكل ايجابي، وعدم التعرض للدولة العربية الإسلامية أو الضرر بمصالحها.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، المسيحيون، موسى بن نصير، عبد العزيز بن موسى، السمح بن مالك الخولاني.

حقوق النشر :مجلة جامعة اللاذقية– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

[*] **مدرس– قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة اللاذقية – اللاذقية – سورية .**

مقدمة:

تكون المجتمع الأندلسي من عناصر بشرية عديدة تتفاوت في الحقوق و الاعتبار، من هذه العناصر المسيحيين الذين عاشوا في كنف الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، وتمتعوا بالعديد من المزايا الدينية، الاقتصادية، الثقافية وكذلك الاجتماعية، إذ أن ولاة الأندلس توصلوا إلى صيغٍ معينةٍ من الّتفاهم فيما بينها وفقاً لقوانين ونظم معينة مستوحاة من الدّين أو الأعراف والتقاليد الاجتماعية المتوارثة.

أهمية البحث وأهدافه:

على الرغم من أن تاريخ المسلمين في الأندلس قد حظي بأهمية كبيرة لدى العديد من الباحثين قديماً وحديثاً، إلاَ أن جوانب هامة من التاريخ الأندلسي مازالت تستوجب البحث والاطلاع حتى الآن، ولعلَ من أبرز هذه الجوانب هو الإحاطة **بدور المكونات البشرية وبخاصة المسيحيين في عصر الولاة بالأندلس** ، وذلك بدراسة المزايا التي أعطاها الحكام العرب المسلمين للمسيحيين، وأثر ذلك عليهم سواء بشكل ايجابي أم سلبي، وكذلك دراسة مدى التعايش سواء الاجتماعي، الديني والثقافي بينهم وبين الفاتحين المسلمين.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع ودراستها وتحليلها، والمقارنة بينها بما يخدم البحث واستخلاص الأفكار المناسبة للوصول إلى نتائج مقاربة للحقيقة التاريخية.

النتائج والمناقشة:

عصر الولاة في الأندلس:

بعد الفتح الإسلامي مرت الأندلس بعصور متعددة شأنها شأن كل الدول على مدار التاريخ، وقد تقلبت تلك العصور ما بين عصور أمن ورخاء واستقرار سياسي واقتصادي، وأخرى تميزت بالاضطراب والثورات الداخلية، وأول عصر يطالعنا بعد الفتح الإسلامي للأندلس هو **عصر الولاة**؛ الذي امتد من سنة(95هـ/714م)، حتى وصول عبد الرحمن الداخل إلى سدة الحكم(138هـ/756م)، وفي هذا العصر كانت الأندلس ولاية تابعة للخلافة الأموية في دمشق، وقد تولى حكم الأندلس في هذه الفترة (20) والياً، دام حكمهم(42) سنة، لكن الملفت في هذه الفترة الزمنية هو كيفية تعامل حكام الأندلس المسلمين مع مسيحيي الأندلس، وهذا ما سنقوم بدراسته بالتفصيل فيما يلي:

1- تطبيق ولاة الأندلس الأحكام الإسلامية في تعاملهم مع المسيحيين:

اتسمت الحياة الاجتماعية في الأندلس بصورة عامة بالاستقرار، بفضل التسامح الذي أبداه ولاة الأندلس مع سكان البلاد [٣٤] ، وبفضل تطبيقهم التعاليم الإسلامية الصحيحة التي تؤمن بالتعايش السلمي بين جميع الناس بغض النظر عن دينهم [١١] ، فمنحوا السكان جميعاً بمن فيهم المسيحيين حرية العبادة حسب الدين الذي يعتنقه الفرد سواء كان مسلماً أم غير مسلم، فلم يظلمْ شخصاً، أو أُسيئت معاملته أو مُنع من ممارسة شعائر عبادته [٢٣]، فالإسلام دين يحث على المساواة ويحارب كل أشكال التمييز والعنصرية، فلا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح فالله

سبحانه وتعالى قال" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [١] ،مما أدى لذوبان الفوارق بين أفراد المجتمع الأندلسي [٣٠] ، ويظهر ذلك جلياً من خلال تطبيق موسى بن نصير وابنه عبد العزيز أثناء الفتح الإسلامي للأندلس معاهدات المهادنة وقوانين الإسلام على الأسبان المسيحيين، إذ جاء في نصوص الصلح الموقع بين الوالي عبد العزيز بن موسى وبين تدمير حاكم شرقي الأندلس "" بسم الله الرحمن، الرحيم ..هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح أنه له عهد الله وميثاقه ألا يقدم لأحد من أصحابه بسوء ..... لا يقتلون ولا تحرق كنائسهم ولا يكرهون على دينهم" [٤٣،٤] ، من ذلك نجد أن عبد العزيز أعطى لتدمير وأصحابه المسيحيين حرية دينهم، وحرية العبادة في كنائسهم.

استفاد المسيحيون من سياسة التسامح هذه، فقد سكن هؤلاء في أحياء خاصة بهم متمتعين بحرية كاملة في إقامة شعائرهم الدينية، كما كانوا يحتفظون ببعض القوانين القوطية ولهم أساقفتهم وقضاتهم، ويحكمهم حاكم من بينهم يسمى الكونت، ولهم ممثلون في البلاط وقاضي ومحكمة استئنافية برئاسة الكونت[٣،٢١٢٣] ،كما وضعت الكنائس تحت تصرف رجال الدين المسيحيين، وسُمح لهم أن يذكروا اسم أسقفتهم في خطبهم ومواعظهم [٤١].

كما أن ولاة الأندلس تركوا للكنائس أوقافها من المباني والأراضي التابعة لها وأموال الوقف المخصصة لها، بحيث تفيد سجلات قرطبة بأن ست كنائس كانت موجودة داخل المدينة في ظل الحكم الإسلامي للأندلس، وستاً أخرى خارجها في منتصف القرن التاسع الميلادي، وفي لشبونة تمّ تخصيص أكثر من كنيسة للعبادة [٤١] ، ولقد وصف الإدريسي كنيسة الغراب التي تبعد 68ميلاً عن شلب" هذه الكنيسة من عهد الروم إلى اليوم لم تتغير عن حالها ، ولها أموال يُتصدّق بها عليها وكرامات يحملها الرّوم الواردون عليها، وهي في قرطيل خارج في البحر، وعلى رأس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها ولا عهد زوالها وقسّيسو الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بغرائب يتهم المخبر بها، ولا سبيل لأحد من المجتازين بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة الكنيسة ضريبة لازمة وسيرة دائمة لا ينتقلون عنها ولا يتحركون منها، ورثها الخلف عن السّلف وهو متعارف دائم والكنيسة في ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين والرهبان وبها أموال مدّخرة وأحوال واسعة وأكثر هذه الأموال محبّسة عليها في أقطار الغرب وبلاده وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها مع ما يكرم به من الأضياف الواردين على الكنيسة المذكورة قلّوا أم كثروا" ،وهذا دليل على مدى التسامح الذي تعامل به المسلمون مع المسيحيين، والذي نتج عنه اعتناق أعداد كبيرة من المسيحيين للدين الإسلامي.

كما أنشأت الحكومة الأندلسية اعترافاً منها بأهمية الأقليات المسيحية منصب(القومس)، ليكون مرجعهم الرئيسي في شؤونهم الروحية، وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ، إذ كان له في معظم الأحيان مكانة خاصة لدى حاكم الأندلس، بحيث عدّ مستشاره في كل ما يتعلق بشؤون النصارى وأحوالهم، وخير مثال على ذلك القومس أرطباس بن غيطشة الذي يعد كبير المسيحيين وجابي الجزية التي يدفعونها، ضمن الأراضي التابعة لأرطباس، إذ عين عقب الفتح حاكماً لطليطلة ورئيساً للنصارى، الذين انضووا تحت لواء الفاتحين لقاء تحالفه مع العرب وخدماته التي قدمها للمسلمين [٣، ٤١].

2- المزايا التي منحت للمسيحيين في المجال الاقتصادي:

خفف ولاة الأندلس الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت توهن كاهل المسيحيين قبل الفتح الإسلامي [٢٣] ، فالأندلس بلد زراعي قبل كل شيء، وقد أولى حكام الأندلس المسلمين اهتماماً بهذا المورد المهم، لذلك اتجهوا إلى تحسين أحوال العمال الزراعيين المسيحيين فأسقطوا بعض الضرائب عنهم، وهيأوا لهم ظروفاً زادت من استغلال الأرض وزيادة

الإنتاج [٢٥] ، فعند فتح المسلمين الأندلس قضوا على النظم الاقتصادية التي كانت موجودة في عصر القوط؛ إذ كانت الأراضي بيد عدد قليل من الأشراف والنبلاء ورجال الكنيسة بينما كان سائر السكان من المزارعين المسيحيين واليهود بمنزلة الأقنان الذين يعملون في هذه الأراضي لصالح تلك الفئة القليلة، لكن بعد الفتح الإسلامي أخذ الفاتحون المسلمون في تجزئة الملكيات الكبيرة إلى ملكيات صغيرة وزعت على الفاتحين إلى جانب سكان البلاد الآخرين من مسيحيين ويهود، الذين أصبح لديهم حرية التصرف في هذه الأراضي [٢٢] ، وقد ظهرت براعة المسلمين وخبراتهم في توزيع أرض الأندلس بحسب طبيعة فتح كل منطقة، فبعض مناطق الأندلس فُتِحَ عنوةً، وبعضها وجده المسلمون خالياً، فاستوطنوه وبعضها الآخر نزل أهله على الصلح، فاحتفظوا بأراضيهم، وجرى التعامل بينهم وبين الفاتحين بموجب معاهدات معقودة بين الطرفين [٢٥] ، وقد ظهر دور فاتح الأندلس موسى بن نصير [٥، ١٦] ، في التمييز بين كل نوع من أنواع هذه الأراضي، وكيفية فرض الرسوم والضرائب عليها حيث عَدَّ أراضي الجنوب الأندلسي أراضي عنوة ويتفق هذا مع واقع الأحداث التاريخية، فهي التي فتحها المسلمون عنوة، عندما قاتلوا في أقصى الجنوب [٣٩] ، في موقعة وادي لكة مع لذريق ملك القوط [٣٧]، كما افتتح المسلمون استجة وقرطبة عنوة، فعَدَّ موسى بن نصير كل ما يقع جنوب الوادي الكبير أراضي عنوة فيما عدا شنترين في الغرب وشية في الجنوب الشرقي، فقد فتحت صلحاً ولم يجر على إقليمها حكم العنوة [٣٩] ، وقد وزع موسى بن نصير أراضي العنوة على المحاربين وأعطيت لهم سجلات بتملكها [٢٨]. وينطبق هذا كذلك على الأراضي التي هرب منها أصحابها من النبلاء ورجال الكنيسة إذ تقاسمه الفاتحون على أساس نزول كل قوم فيما طاب لهم من الأرض [٢٥] ، وأقرهم الخليفة الأموي في دمشق الوليد بن عبد الملك على هذه الاقطاعات مقابل اشتراكهم بالغزو دون مقابل [٢٨] ، وأن يدفع هؤلاء المقطعين العشر للدولة [٢٢] .

أما أراضي الشمال الأندلسي التي تقع شمال نهر الوادي الكبير، فقد عدت أراضي صلح تجري عليها أحكام الصلح التي عقدها المسلمون مع أهلها من المسيحيين [٣٩] ؛ إذ احتفظوا بأراضيهم وجرى التعامل بينهم وبين الفاتحين بموجب معاهدات معقودة بين الطرفين، وهذه الشروط شملت بصورة عامة أمرين: الأول أن يدفع هؤلاء جزية على رؤوسهم، والثاني: خراج على أراضيهم، وكانت على الأغلب جزءاً من غلة الأرض تعادل الثلث أحياناً، والربع حيناً آخر حسب طبيعة الأرض وغلتها [٢٥] ، وقد ظهرت براعة حكام الأندلس المسلمين في إبرام تلك المعاهدات، ومن أمثلة ذلك تلك المعاهدة التي عقدت بين عبد العزيز بن موسى بن نصير اللخمي، وتدمير حاكم شرق الأندلس، والتي يتفق مضمونها مع الروح الإسلامية، فقد ورد في بعض نصوصها " بسم الله الرحمن، الرحيم ..هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح أنه له عهد الله وميثاقه .....ألا يقدم لأحد من أصحابه بسوء ..... وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية من ذلك على كل حر دينار، وأربعة إمداد من قمح، وأربعة إمداد من الشعير، وأربعة أقساط خل، وقسطا عسل، وقسط زيت، وعلى كل عبد نصف دينار " [٢٧، ٤].

وقد عدت أراضي الجنوب والغرب التي تقاسمها العرب إقطاعات استغلال ملكاً لأصحابها يتوارثها الأبناء عن الآباء [٣٩] ، أما حق بيت المال من هذه الأراضي، فلم يحاول موسى بن نصير أن يأخذ من الأراضي والأسرى إلا الخمس بعد أن أخذ من خمس الأسرى ما اختاره أثناء عودته إلى دمشق، وترك بقيته [٢٥] ، على أراضي الخمس [٣٩]، فأطلق فيه السبي يزرعونه للدولة، ويؤدون من أمواله الثلث، وقد عدَّ هؤلاء زراع أراضٍ للدولة، وأطلق عليهم اسم الأخماس وأولادهم أولاد الأخماس [٣٩] ، ومن ذلك نجد الدور الذي شغله حكام الأندلس المسلمون في تخفيف الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت توهن كاهل الطبقات العاملة قبل الفتح الإسلامي للأندلس [٢٣] ، فلم يعد االمسيحي يزرع الأرض لصالح الارستقراطية القوطية التي لم تكن تترك له سوى النذر اليسير مما لا يكاد يكفي احتياجاته، بل تركت

لهم الأرض بعد الفتح الإسلامي يزرعونها ويؤدون خراجها للدولة، والذي حدد بنسبة المحصول وجودة الأرض، أو قرابته من مصادر المياه، وما تنتجه الأرض فعلاً [٣٠] ، كما أصبح العمال الزراعيون والعبيد الذين يعملون في الأراضي التي انتقلت إلى المسلمين أحراراً يستأجرون الأرض أو يعملون فيها ويدفعون جزءاً من غلتها إلى أصحابها المسلمين [٢٣] ، ومن ذلك يظهر دور موسى بن نصير وابنه عبد العزيز في توزيع الضرائب والأراضي على الأندلسيين إذ دفع النصارى واليهود ضرائب الخراج بالتساوي، وكان ذلك من العوامل التي أدت إلى تقدم النشاط الزراعي [٢٢] ، توزيع موسى بن نصير أراضي الأندلس على شكل ملكيات صغيرة لمساعدة أصحابها المسيحيين على أن يحققوا حياة أرقى وأفضل من حياتهم في عهد القوط، وقد اكتسب هؤلاء الملاك بفضل الحكم الإسلامي حقاً جديداً، فقد أصبح لمالك الأرض الحرية في بيع الأرض، ونقل ملكيتها للغير[٣٦] ، ولكن سرعة استدعاء موسى بن نصير من قبل الخلافة الأموية في دمشق[٣٧]، جعلته غير قادر أن يكمل إصلاحاته، فلم يكمل تقسيم أرض العنوة على الجيش، وبقيت أكثر أراضي العنوة دون تخميس[٢٥]، كذلك لم يكمل ابنه عبد العزيز بن موسى مهمة والده في تخميس أراضي الأندلس لأنه كان مشغولاً بفتح ما بقي من أراضيها في الشمال الأندلسي، فتُركت هذه الأراضي على وضعها حتى كلف الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99–101هـ / 717–719م) والي الأندلس السمح بن مالك الخولاني، بإكمال مهمة تخميس أرض الأندلس، ويخرج منها ما كان عنوة خمساً لله من أرضها وعقارها وتبقى القرى في أيدي مغتنميها بعد أن يأخذ الخمس([2])، كما كلف السمح بتمييز أراضي الصلح ليصح التخميس ومن هنا يستدل بأن الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرى بأن بعض أراض الصلح اختلطت بغيرها وربما اشتراها الفاتحون من أصحابها، فانتقلت من أراضي خراجية تدفع نسبة عالية من الضرائب إلى أراضٍ عشرية [٣٩] ، وبناءً لأوامر الخليفة عمرو بن عبد العزيز قام السمح بمسح لمدن الأندلس وجبالها وأنهارها ومجاريها مع بيان لطبيعة الأرض ومنتجاتها ومواردها وحدد خراجها بنسبة الخمس، ويبدو أن السمح كان ماضياً في تنظيم البلد بإحصاء أمواله، ولكن الظروف لم تمهله لإكمال ما بدأ به من أعمال، فقد كان عليه إلى جانب هذا العمل الإداري أن ينشط للجهاد في بلاد غالية إذ كان عظيم الرغبة بالجهاد، لكن لم يلبث أن استشهد غازياً في بلاد الفرنجة سنة 102هـ/721م ، فتابع عمله الوالي اليمني عنبسة بن سحيم الكلبي الذي استقامت في عهده أحوال الأندلس [٣٧] ، إذ سار على نهج سلفه السمح في العناية بالأمور الاقتصادية للمسيحيين، فنظم الخراج ، وأخذ ضريبة العشر من الذين خضعوا للمسلمين بدون قتال والخمس ممن لم يخضعوا إلا بالسيف [٢٣] ، أما في عهد الوالي اليمني أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، فقد أصبح العرب شركاء للمسيحيين الإسبان في أراضيهم بعد توزيع الأراضي بين عرب الشام والبلديين [٢٢] ،كما أصبح المالك والمزارع شبه شريكين في الأرض، وكذلك أصبح العرب البلديون ومعهم البربر شركاء للمسيحيين في معيشتهم [٣٦] ، فقد قام أبو الخطار بتوزيع الشاميين(طالعة بلج بن بشر) على كور الأندلس، فأنزلهم على ثلث أموال أهل الذمة من مسيحيين ويهود مقابل تقديم الجنود للدولة، وأبقى العرب البلديين على ما بأيديهم ولم يتعرض لهم في شيء [٢،٩] ، وكان من أغراض التقسيم الإداري في الأندلس ضبط الضرائب، أي أن الإقليم يُعدُّ وحدة مالية في نظر الدولة، وكل إقليم يضم عدداً من القرى، فهناك قرى تقدم العشور وهي قرى الحبوب والزراعات، وقرى تدفع الجبايات بحسب طبيعة إنتاجها، وهي نواحي الثمار والأشجار والزيتون والغابات [٢٥] ، وقد كان الجند بأسره ينزل الكورة، ويعد رئيسها صاحب الأمر

[2] – مؤرخ مجهول : أخبار مجموعة، ص30؛ البكر، خالد عبد الكريم بن حمود. النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة. ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1993م ،ص116.

فيها، وكان الأساس المتبع أول الأمر أن ينزل الجند في الكورة دون أن يملك أفراده من الحق أكثر من ثلث المحصول، لكن اضطراب الأحوال في أواخر أيام الولاة جعل الأجناد ملاكاً للنواحي وأصحاب الأمر فيها [٣٩]، كان من نتائج توزيع الوالي اليمني أبي الخطار للجند الشامي على الكور ازدهار الزراعة إذ إن أرقاء الضيع أصبحوا من الزراع تقريباً، وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية [٢٣] ، وظل هذا النظام متبعاً في الأندلس، إذ كان عمال الكور سواء كان رئيس القبيلة أو شيخ مجموع القبائل أو صاحب لواء الجند، يقومون بالأمر بها، فيجمع الأموال بمعاونة رؤسائها من أهل الذمة، ويقتطع ثلثها ويؤدي الثلثين لبيت المال إن كان رئيس جند نازل، أو يؤدي عشرها فقط إن كان مقطعاً، وعليه لقاء ذلك أن يكون مستعداً برجال قبيلته للخروج إلى الحرب عندما تحتاج حكومة قرطبة ذلك [٣٩].

نجد من ذلك بأن ولاة الأندلس خففوا الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت توهن كاهل المسيحيين قبل الفتح الإسلامي [٢٣] ، فقد كانت تجبى الضرائب أيام حكم القوط بناءً على أهواء الحاكم، وحسب طبقة الفرد ومكانته الاجتماعية، فلما أتى الإسلام ساوى بين جميع الأندلسيين(المسيحيين- واليهود)، ففرض عليهم ضريبة واحدة يؤدونها إلى الدولة، وهي ضريبة الجزية [٢٦]، وقد تعامل ولاة الأندلس مع هؤلاء المسيحيين وفقاً لتعاليم الدين الإسلامي، والتي تنص على فرض الجزية مقابل السماح لهم بالاحتفاظ بدينهم والعيش في ذمة المسلمين على أن يلتزموا بقانون الدولة العام [٤،٤١] ، كذلك لم يعد المسيحي يزرع الأرض لصالح الارستقراطية القوطية التي لم تكن تترك له سوى النذر اليسير مما لا يكاد يكفي احتياجاته بل تركت لهم الأرض بعد الفتح الإسلامي يزرعونها ويؤدون خراجها للدولة [٣٠] ، كما أصبح العمال والمزارعون المسيحيين الذين يعملون في الأراضي التي انتقلت إلى أراضي المسلمين أحراراً يستأجرون الأرض أو يعملون فيها ويدفعون جزءاً من غلتها إلى أصحابها المسلمين [٢٣].

استفاد المسيحيون من سياسة التسامح هذه، فلم يغادروا مناطقهم التي وقعت بأيدي المسلمين أو يتركوها، ويتجهوا شمالاً إلى المناطق الوعرة التي تحصن بها الإسبان بل فضل هؤلاء العيش مع المسلمين مع الاحتفاظ بدينهم ، وشغلوا دوراً ايجابياً في المجتمع العربي الأندلسي، بحيث لم يتعرضوا لمصالح الدولة العربية في الأندلس، لأنهم وجدوا في استمرار هذه الدولة استمراراً لحياتهم وأمنهم وسلامتهم وتحقيق مصالحهم التي ارتبطت بالدولة العربية ارتباطاً وثيقاً.

3- مشاركة المسلمين للمسيحيين في الحياة الاجتماعية والثقافية:

طبق العرب المسلمون الشريعة الإسلامية في تعاملهم مع أهل الأندلس، فقد منحوا المسيحيين حرية في ممارسة معتقداتهم وطقوسهم الدينية، فكان نتيجة ذلك أن دخل العديد من المسيحيين الإسلام، بينما بقي قسم آخر منهم على دينهم القديم متمتعين بكامل حقوقهم [٤،١١]، اتخذت بلاد الأندلس طابعاً متميزاً للتعايش الإنساني بين أفراد المجتمع، ويتضح ذلك من خلال الترابط الاجتماعي بين المسلمين الذين شاركوا مسيحيي الأندلس أعيادهم وأفراحهم [٣٤] ، ومن هذه الأعياد عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، الذي يعد من أهم أعياد النصارى في الأندلس، وكانوا يحتفلون به في الخامس والعشرين من ديسمبر، وكذلك عيد العنصرة ([3])، وكان نصارى الأندلس يحتفلون به في الرابع والعشرين من

---

[3]- العنصرة: ذكر ابن خلكان هذا العيد قائلاً: " يوم العنصرة يوم مشهود ببلاد الأندلس، وهو موسم للنصارى، كالميلاد وغيره، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران، وفيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام "، واستطرد ابن خلكان قائلاً:"وفي هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون عليه السلام، حين بعثه موسى عليه الصلاة والسلام لقتال الجبابرة"؛ ابن حيان، أبو مروان حيّان بن خلف(ت: 469هـ / 1077م). المقتبس في أخبار بلد الأندلس. شرح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص138؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت: 681هـ/1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح:إحسان عباس،مج7، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص227.

حزيران، فكان المسلمون يشاركون النصارى في احتفالاتهم، فيقيمون الولائم ويدعون لها الأهل والأصدقاء والجيران ويتهادون الأطعمة والتحف، ويتركون أعمالهم متخذين اليوم راحة تعظيماً واحتفاءً بهذه الأعياد [٣١] ، كما شغل المسيحيون العديد من الوظائف الحكومية، مثل: قاضي العجم وصاحب المدينة أو حارسها ومستخرج خراج أهل الذمة الذي يعمل إلى جانب عامل الخراج المسلم [٣٤] ،كما كانوا يعينون في أرقى المناصب المدنية والحربية [،٢٣٣،٢٠]، بل وحاربوا في كثير من الأحيان جنباً إلى جنب مع المسلمين [٢٦].

وقد نتج عن سياسة التسامح هذه التزاوج بين المسلمين والاسبانيات([4])، إذ لم تمنع الشريعة الإسلامية ذلك، قال تعالى" وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا" [١] ، كما أن جمال الإسبانيات كان من الدوافع التي دعت المسلمين إلى ذلك ، فقد وصفهم ابن الخطيب قائلاً" وحريمهم جميل موصوف بالسحر، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب النشر، وخفة الحركات، وحسن المحاورة" [٣]، وقد دعي الجيل الأول منهم بالمسالمة ([5])، وما تلاه بالمولدين، وقد نشأ المولدون على دين آبائهم مسلمين، فأدى ذلك إلى انتشار اللغة العربية بينهم، كما تأثروا بأمهاتهم الإسبانيات في لغتهم وعاداتهم وطرق معيشتهم، ولقد كثر أبناء هذا الجيل من المولدين ([6]) فأدى إلى انتشار اللهجة الرومانثية الإسبانية([7]) بين الأندلسيين [١٣].

كان عبد العزيز بن موسى أول من تزوج من اسبانية، إذ تزوج من أرملة لذريق آيلة [٣٥] ، التي تسميها المصادر العربية بأم عاصم. وسار على طريقه عدد كبير من رجالات العرب أمثال عيسى بن مزاحم الذي تزوج سارة القوطية [٦].

وخلال الحكم الإسلامي لم يفقد المولدون اتصالهم بأقاربهم الذين ظلوا على ديانتهم، يتبادلون الزيارات ويتعايشون كما كانوا قبل الفتح الإسلامي في علاقة يومية دائمة، وهذه الحياة الاجتماعية تدل على مدى تسامح ولاة الأندلس تجاه سكان اسبانيا غير المسلمين [٢١] ، كما احتفظ الكثير من المولدين بأسمائهم القديمة مثل بني أنجلين، وبني شبرقة [٣٥].

كما أُعجب مسيحيي الأندلس بكل ما هو مشرقي، وبكل ما هو متعلق بالحضارة العربية ، فأقبلوا على تقليد العرب في كثير من الأمور كالمأكل والمشرب والأزياء العربية والإسلامية، وكذلك أعجبوا بالثقافة واللغة العربية، فانكبوا على تعلمها، لسموها على الثقافة اللاتينية التي كانت جامدة على اتجاه واحد [٣٤]، وخير مثال على ذلك الوصف الذي

---

[4] – هنَ المنحدرات من أصل اسباني، خضعوا عن رضى للفاتحين المسلمين، منهم من اعتنق الإسلام ولزم مساكنه القديمة، ومنهم من سبي عند الفتح واستقر به عقبه، ومنهم من أسلم بعد الفتح أو سبي بعد الفتح واستقر به عقبهما. دندش.عصمت عبد اللطيف. الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عصر الطوائف الثاني"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص249.

[5] – المسالمة: أي الذين يعيشون في سلم مع أنفسهم، ومع الآخرين تمييزاً لهم عن نصارى الشمال.أحمد: مظاهر التعريب في دول المنطقة العربية، ص119–120.

[6] سالم السيد عبد العزيز. في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،1985م، ص112؛ أرنولد، توماس. الدعوة إلى الإسلام . د.د، د.م ، د.ت ، ص157.

[7] – الرومانثية الإسبانية" اللاتينية الحديثة": المتفرعة عن اللغة اللاتينية، التي كانت متداولة في شبه الجزيرة الأيبيرية، وهي اللغة المعروفة عند العرب بالعجمية" اللطينة". دندش.عصمت عبد اللطيف. الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين" عصر الطوائف الثاني"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص252؛ عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس" دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي(العصر الثاني). ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص409.

أورده أحد الكتاب المسيحيين، الذي أوضح انتشار اللغة العربية في الأندلس على حساب اللغة اللاتينية، كما أظهر امتعاضه من إقبال الأندلسيين على تعلم اللغة العربية قائلاً: " إن شبابنا المسيحيين، بمظهرهم الأنيق وفصاحتهم متصنعون في ملبسهم ومركبهم، ومشتهرون بعلوم الوثنيين، وهم سبب شغفهم بالفصاحة العربية، يتهالكون على كتب الكلدانيين(أي المسلمين)، ويلتهمونها، ويناقشوها بحماسة، ويُشهرونها بثنائهم عليها مستخدمين في ذلك كل ساحر من البيان جاهلين كل شيء عن روعة أدب الكنيسة التي تفيض من الجنة، يا للأسف إن المسيحيين يجهلون تماماً شريعتهم الخاصة، واللاتين قليلو الاكتراث بلغتهم إلى درجة لا نكاد نجد معها بين جمهور المسيحيين أجمعين واحداً في الألف يستطيع أن يكتب رسالة مفهومة يستفسر فيها عن صحة صديق له، في حين في وسعك أن تجد حشداً لا يحصى من فئاتهم كافة يستطيعون أن يسردوا سرد العالم المطّلع نتاج المراحل المتألقة من تاريخ اللسان الكلداني(العربي) بل باستطاعتهم أن ينظموا القصائد ذات الروي الموحد التي تكشف عن مستوى رفيع في الجمال، مهارة في التصريف بالعروض تفوق مهارة الوثنيين أنفسهم " [٤٠]، وكان ذوو الطموح منهم وبعد تعلمهم للعربية يعملون في إدارات الدولة المختلفة ويختلطون بأشراف العرب [٣٤] ، وخير مثال على تأثر الأندلسيين بحضارة العرب ولغتهم المستعربين [٤٠]، الذين تأثروا باللغة العربية وبعرب الأندلس تأثيرا كبيراً، فتعربوا لغةً وثقافةً [١٩] ، فأبدوا تجاوباً لتعلمها فامتزجت بهم وطبعتهم بطابعها [٣٢] ، يتضح ذلك من خلال دفاع المستعربين عن الدولة العربية ولغتها بالأندلس في كل المناسبات الضرورية.

كما يلاحظ تأثير اللغة العربية على الإسبان من خلال كثرة المفردات العربية الي انتقلت إلى اللغة الإسبانية ومنها إلى أوربا، فغزت كثير من المفردات والألفاظ العربية إسبانيا وأوربا، واستعملت مفرداتها حرفية في اللغات الأوروبية حتى وقتنا الحاضر [١٨] ، ويقدر بعض الباحثين أن المفردات العربية التي دخلت الإسبانية حوالي ربع محتويات القاموس الإسباني ، بينما دخلت إلى البرتغالية بحدود ثلاثة آلاف كلمة عربية [٣٤] ، وتشمل مفردات في مصطلحات الحياة والعلوم [١٨] ، ولكثرتها سنقتصر على ذكر بعض المفردات التي انتقلت بنفس اللفظ والمعنى منها: كلمة وَقف(Wakouf)، أمير (Emir)، رئيس(Reis)، القاضي(Alcaede)،الحاجب(Alhaque) [٤٢]، القصر(alcazar)، البناؤون(albaniles)، المعصرة(almazara)، وأطلق على الفارس الذي يمتطي صهوة الجواد (المغوار) انتقلت إلى اللغة الإسبانية بنفس اللفظ والمعنى(almogauar) [٣٣] ، الطبق(tabaque) [١٥].

ومما يدل على مدى تأثير اللغة العربية وجود أمثال إسبانية تكاد تكون نقلاً أميناً عن الأمثال العامية العربية الأصل، ومن هذه الأمثال:

Haxa non tiene que comer, econvida huespedes.

هذا المثل هو ترجمة للمثل العربي(عائشة لا تجد ما تأكله وهي مع ذلك تتصدق على الجيران)، كذلك المثل:

Renigro de bacin oro, que escupe songre.

وهو ترجمة للمثل المشرقي (لا أحب دمي في طست من ذهب) [٣٢]، كذلك دخلت كثير من العبارات العربية إلى اللغة الإسبانية ومن هذه العبارات (هذا هو بيتك) انتقلت للإسبانية بنفس المعنى (esta es su casa) وهذه العبارة ذات الأصل العربي لا نزال نوجهها اليوم لمن يقوم بزيارتنا في المنزل للمرة الأولى، كذلك عبارة (إن شاء الله) انتقلت إلى الإسبانية بنفس المعنى(si Dios quiere) [٣٣]، ومن بصمات اللغة العربية في اللغة الإسبانية وجود صوت الخاء (j, ge, gi)، والثاء(z, ce, ci)، والذال والضاد(d)، مما تقدم نجد مدى تأثير اللغة والألفاظ العربية على اللغة الإسبانية.

الخاتمة:

- عاش مسيحيو الأندلس هادئين مستقرين جنباً إلى جنب مع المسلمين، فشغلوا دوراً كبيراً في كل مجالات الحياة وذلك بفضل الحرية الواسعة التي أعطيت لهم من قبل حكام الأندلس المسلمين.
- نتج عن تطبق حكام الأندلس الشريعة الإسلامية في فرض الضرائب على المسيحيين، وكيفية التعامل مع أراضي الخراج، إعجاب المسيحيين بالدين الإسلامي، وعدالته، مما دفع الكثير منهم على اعتناق الإسلام عن رضا وقناعة.
- كان للتسامح الكبير الذي أبداه مسلمو الأندلس مع المسيحيين سواء في المجال الديني، وكذلك الاجتماعي من مشاركتهم بالاحتفال جنباً إلى جنب مع المسيحيين بأعيادهم، وكذلك عدم اجبارهم على ترك عاداتهم وتقاليدهم، ولغتهم، دور كبير في التعايش السلمي بين الطرفين، ونتج عن هذا التعايش السلمي الانخراط الثقافي بينهم ، مما أدى لاستعرب عدد كبير من المسيحيين.

الاستنتاجات والتوصيات:

من خلال دراسة الباحثة المسيحيون في ظل ولاة الأندلس(95–138هـ/ 714–756م)، يمكن الخروج بعدد من التوصيات لا غنى عنها تتمثل في:

1– لا بدَّ من دراسة دور كل مكون من المكونات البشرية في الأندلس على حده، وأثر ذلك على الاستقرار الداخلي والسياسي للأندلس.

2–لا بد أن تكون هناك دراسات تتناول الجوانب المشرقة للعرب في العصر الحديث والمعاصر، والأمور الفاعلة في رفعة المسلمين، حتى لا يشعر المسلم بالإحباط، إذ أننا حين نفعل ذلك سيتوفر لدينا سجل متراكم من الحقائق التي تنبئ عن الأمور الفاعلة في رفعة المسلمين وكذلك انحدارهم، فلقد أعطينا مثالاً عن مدى التعايش السلمي والايجابي الذي كان تعيشه الأندلس في الفترة الممتدة بين عامي(95–138هـ/ 714–756م) والتي يجب نستفيد منها في العصر الحالي.

Reference

[1]- Alquran alkarim.
[2]- M. Ibn Al-Abbar (d. 658 AH / 1260 AD). Al-Hillah Al-Sira. Edited by: Hussein Mu'nis, Vol. 1, 2nd edition, Dar Al-Maaref, Cairo, 1985 AD.
[3] L. Ibn Al-Khatib (776 AD / 1374 AD). Al-Ihata fi Akhbar Granada. Edited by: Muhammad Abdullah Annan, Vol. 1, Al-Khanji Library, Cairo, 1973 AD.
[4] A. Ibn Al-Dala'I (d. 478 AH / 1085 AD). Texts about Andalusia. Edited by: Abdul Salam Al-Ahwani, Publications of the Institute of Islamic Studies, Madrid, 1965 AD.
[5] A. Ibn Al-Faqih (d. 340 AH / 951 AD). A Summary of the Book of Countries. Dar Sadir, Beirut, n.d.
[6]- M. Ibn al-Qutiya, (d. 367 AH/977 AD). History of the opening of Andalusia, edited by: Ibrahim al-Anbari, 2nd ed., Dar al-Kitab al-Banani and Dar al-Kitab al-Masri, Beirut, Egypt, 1989 AD.

[7] A. Ibn Hayyan (d. 469 AH/1077 AD). Al-Muqtabas fi Akhbar Bilad al-Andalus. Explanation: Salah al-Din al-Hawari, 1st ed., Al-Maktaba al-Asriya, Beirut, 2006 AD.
[8] A. Ibn Khallikan (d. 681 AH/1282 AD). Deaths of Notables and News of the Sons of the Age. Ed.: Ihsan Abbas, Vol. 7, Dar al-Thaqafa, Beirut.
[9]-K. Abu Mustafa, Studies in the History and Civilization of Morocco and Andalusia. Alexandria Book Center, Alexandria, 1997 AD.
[10] A. Ahmad. History of the Arab Maghreb. Damascus University Publications, Damascus, 1992.
[11] A. Ahmed. Manifestations of Arabization in the Arab Countries in the Middle Ages. Printed by the Syrian Ministry of Information, Damascus, 2009.
[12] T. Arnold. The Call to Islam. d.d., d.m., d.t.
[13] G. Angel. History of Andalusian Thought. Translated by: Hussein Mu'nis, Library of Religious Culture, Cairo, 1955.
[14] H. Al-Awsi. Chapters in Andalusian Literature. Dar Samid, d.m., 1987.
[15] L. Provençal. Arab-Islamic Civilization in Spain. Translated by: Al-Taher Ahmed Makki, 3rd ed., Dar Al-Maaref, Cairo, 1994.
[16] M. Bak. Translated by: Muhammad Al-Uthmani, Dar Al-Qalam, Beirut, d.t.
[17] K. Al-Bakr. Economic Activity in Andalusia in the Era of the Emirate. 1st ed., King Abdulaziz Public Library, Riyadh, 1993.
[18] B. Al-Talisi. Jamal Hashem. History of Arab Islamic Civilization. 1st ed., Dar Al-Madar Al-Islami, Beirut, 2002.
[19] R. Joseph. History of Arab invasions in France, Switzerland and Italy. Translated by: Shakib Arslan, PhD, Beirut,
[20] H. Hassan. History of Political, Religious, Cultural and Social Islam. 14th ed., Vol. 4, Dar Al-Jeel and the Egyptian Renaissance Library, Beirut-Cairo, 1996.
[21] I. Dandash. Andalusia at the End of the Almoravids and the Beginning of the Almohads "The Second Taifa Era", 1st ed., Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1988.
[22] H. Duwaidar. Andalusian Society in the Umayyad Era. 1st ed., Al-Hussein Islamic Press, PhD, 1994.
[23] M. Zaytoun. Muslims in Morocco and Andalusia. General Authority of Alexandria, Alexandria, 1990.
[24] A. Salem. In the History and Civilization of Islam in Andalusia. University Youth Foundation, Alexandria, 1985.
[25] K.H. Al-Samarrai. History of the Arabs and their Civilization in Andalusia. 1st ed., National Library, Benghazi, 2000.
[26] K.H. Al-Sufi. History of the Arabs in Andalusia. 1st ed., Publications of Garyounis University, n.d., 1980.
[27] A. Al-Dhabi (d. 598 AH / 1201 AD). The Seeker's Desire in the History of the Men of Andalusia. Translated by: Ibrahim Al-Aybari, Dar Al-Kitab Al-Lubnani and Dar Al-Kitab Al-Masri, Beirut. Cairo, 1989, and Rokhs Press, Madrid, 1885.
[28] Y. Abbasi. Agricultural properties and their effects in western Andalusia, PhD, PhD, 2000 AD.
[29] M. Anan. The Islamic State in Andalusia "The Taifa State since its establishment until the Almoravid conquest (the second era). 4th ed., Al-Khanji Library, Cairo, 1997.
[30] E. Al-Faqih. History of Morocco and Andalusia. Nahdet El-Sharq Library, Cairo, 1990.

[31] H. Qarni. Rural Society in the Umayyad Era. Supreme Council of Culture, Cairo, 2012.
[32] K.H. Qorooi. Christian and Islamic Social Phenomena in Andalusia. 1st ed., Dar Al-Naya and Dar Al-Mahaka, Damascus, 2012.
[33] A. Castro. Spain in its History (Christians, Muslims and Jews). Translated by: Ali Ibrahim Manoufi, 1st ed., Supreme Council of Culture, Cairo, 2002.
[34A. Al-Kaabi. Peaceful Coexistence between Heavenly Religions (in the Conquest of Andalusia from the Islamic Conquest until the End of the Taifa States). 1st ed., Adnan Library, Damascus, 2014.
[35] A. Al-Abbadi. Studies in the History of Morocco and Andalusia, Shabab Al-Jamiah Foundation, Alexandria, n.d.
[36] M. Mahmoud. Muslims in Andalusia and their Relationship with the Franks. Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1986.
[37] A. Al-Maqri, (d. 1041 AH/1631 AD). A Breath of Goodness from the Wet Branch of Andalusia. Ed.: Ihsan Abbas, Vol. 1, Dar Sadir, Beirut, 1988.
[38] H. Anonymous Historian. News of a Collection of the Conquest of Andalusia and the Mention of Its Princes, May God Have Mercy on Them, and the Wars That Occurred Between Them. Ed.: Ibrahim Al-Aybari, 2nd ed., Dar Al-Kitab Al-Masry and Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Cairo. Beirut, 1989.
[39] H. Mu'nis,. Fajr Al-Andalus. Ed. 4, Dar Al-Rashad, Cairo, 2008.
[40] M. Watt. In the History of Spain and Andalusia. Translated by: Muhammad Reda Al-Masry, 2nd ed., Al-Matbouat Company for Distribution and Publishing, Beirut, 1998.
[41E. Wishaw. Arab Spain (Andalusia). Translated by: Safaa King, Translated by: Ahmed Ebish, National Library, Abu Dhabi, 2014.
[42] T. Al-Yuzbaki. Islamic Civilization in Andalusia and Its Impact on Europe. Our Culture Magazine for Studies and Research, Iraq, Vol. 5, No. 20, 2010.
[43] H. Coppee: History OF The Conquest Of Spain, Heney Coppee, Boston,1981.